

القضايا الفكرية لاتجاه الدستوبيا في رواية

"העיר המזרחית" "المدينة الشرقية"^١ للأديبة الإسرائيلية "إلينا برنشتاين"^٢

الباحث/ محمد ممدوح محمد

لدرجة الماجستير بقسم اللغة العبرية

تمهيد

شهد تيار الدستوبيا^٣ ازدهاراً في الأدب العبري المعاصر واحتل، ولا يزال، مكانة مهمة؛ نظراً للحالة الخاصة التي تعيشها إسرائيل فضلاً عن الأزمات التي يمر بها المجتمع بشكل متواصل وبلا انقطاع. فقد شهد العقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين سيل من الأعمال التي يمكن وصفها بالتشاؤمية والكارثية والسوداوية التي تنتبأ بانهيار إسرائيل.

أحداث الرواية

تصف رواية "المدينة الشرقية" سيطرة عشر عائلات ثرية على إسرائيل من خلال نظام وحشي وعنصري، وتصف ديكتاتوريتها ومحاولاتها لإخضاع مواطني الدولة عن طريق المخدرات ونشر المواد الإباحية بوفرة وقمع كل من يتجرأ على معارضة النظام بعنف؛ كما تصور للعلاقة المهيمنة التي تتعامل بها الدولة مع اللاجئين واستغلالهم، فضلاً عن طردها للسكان الأصليين وترحيلهم بل وقتلها أيضاً لهم. الرواية تصور لنظام ليس لديه أيولوجية سوى زيادة رؤوس أمواله والسيطرة على السلطة وحياة المواطنين.

تنتهي الرواية بحدث صادم وهو سقوط القنبلة، التي أخذت الصالح والطالح ولم تترك إلا قلة من ناحية كانت صادمة لأن الغالبية كانت ضحية لهذه القنبلة، وربما أرادت برنشتاين بذلك ارسال رسالة للصالحين أنه لن ينفعهم صلاحهم بشيء طالما بقي الوضع

^١ نشرت عام ٢٠١٣ عن دار نشر "يديعوت سفاريم"، وتتكون الرواية من ٥٦ فصل صغير تدور أغلب أحداثها في مدينة "تل أبيب" التي يتم الإشارة إليها بصورة رمزية باسم "المدينة الشرقية".

^٢ لفظ "دستوبيا" مشتق من كلمتين يونانيتين هما "dus" والتي تعني سقيم أو سيء أو مريض أو معيوب، وكلمة "topos" التي تعني "مكان" لتعني بذلك "المكان السيء" أو "المكان غير المفضل".

القضايا الفكرية لاتجاه الدستوبيا في رواية

هكذا. من ناحية اخري أرادت في الوقت نفسه ارسال رسالة طمأنة للقارىء الذي ارتبط بشخصية البطلة، والذي ربما وجد نفسه فيها عندما أبلغتخه أنها نجت مع التلة التي كُتبت لها النجاة.

القضايا الفكرية لاتجاه الدستوبيا في رواية "העיר המזרחית" "المدينة الشرقية"

أولاً: نقد الاحتلال

اعتمدت إسرائيل في قيامها على سلب الأرض ٤ والخديعة واغتصاب الأرض بطرد سكانها الأصليين، ودائماً ما كانت إسرائيل طامعة في أراضي الدول العربية وهو ما تؤكدته سلسلة الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد الدول العربية. فقد كان السؤال الذي يطرح نفسه على الصهيونية السياسية هو كيفية إيجاد أغلبية يهودية في بلد يعيش فيه شعب فلسطيني عربي بأعداد كبيرة، فلم تجد أمامها سوي إقامة المستعمرات بطرد الفلسطينيين والاستيلاء على أراضيهم بنظام منهجي، والتوسع نحو الشمال على طول الليطاني ونحو الشرق على مرتفعات الجولان. ٥

إن النموذج الاستيطاني الصهيوني يعتبر نموذجاً فريداً، لقد جمع الاستيطان الصهيوني في فلسطين بين أسوأ ما في النموذج اللاتيني والنظام الأتجلو سكسوني، بل أنه أضاف إليهما ما هو أكثر سوء، فقد انفردت الصهيونية عن غيرها بعملية طرد وتشريد السكان الأصليين خارج الحدود؛ وبذلك يعتبر الاستيطان الصهيوني في فلسطين الأكثر وحشية من الناحية التاريخية ويمثل بالتالي نموجا استيطانيا قائما بذاته. ٦

٤ رعد، إنعام، "الصهيونية الشرق أوسطية من هرتزل إلى بيريز إلى النفق والخطة المعاكسة"، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٣٦.

٥ جارودي، روجيه، ملف إسرائيل: دراسة للصهيونية السياسية، ترجمة: مصطفى كامل فودة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣ ص ١١١.

٦ الازعر، محمد خالد: النموذج الصهيوني لادارة الصراع السكاني، مجلة شؤون فلسطين، العدد ١٩٦ يوليو ١٩٨٩ ص ٣٤ - ٣٥.

لقد نفذت إسرائيل أبشع الجرائم تجاه الفلسطينيين الذين بقوا في أراضيهم ولم يرحلوا منها بالإضافة إلى ارتكاب المجازر والمذابح تجاه بعض القرى وطرد أهلها وتهجيرهم قسراً من خلال المذابح التي حدثت في العديد من القرى الفلسطينية أمثال مذبح دير ياسين وقبية ونحالين وكفر قاسم والدواهة وأبو شوشة. ومجزرة الطنطورة. ومجزرة عيلبون وعليط ومجزرة شرفات ودير أيواب.....الخ^٧

إلى جانب ذلك نجد أعمالاً متفرقة ومتزايدة يوماً بعد الآخر ضد الفلسطينيين العزل ممن بقوا وصددوا في أماكنهم والتي تقف وراءها جماعات صهيونية متطرفة تسعى لإرهاب الفلسطينيين منها على سبيل المثال جماعة "تاج محير" الإرهابية المتطرفة التي يمتلأ سجل جرائمها بالعديد من الجرائم الإرهابية ضد الفلسطينيين.

هناك اتفاق على أن العمل الأدبي يعتبر بمثابة وثيقة تاريخية إستناداً إلى تضمينه رواية لإشارات زمنية ومكانية مأخوذة من الواقع، بشرط أن تحتوي على معايير إنسانية تشمل العالم ولا تحد بمحيط ضيق. والصدق الذي نقصده هنا هو "الصدق التاريخي" الذي يجب ألا يتعارض مع "الصدق الفني"، إذ لا ينبغي أن يكون "الصدق الفني" ذريعة للتصل من "الصدق التاريخي" الذي يخلق غيابه آثاراً سلبية خطيرة في الوجدان الإنساني بشكل عام.^٨

تتناول البطلة حقيقة الاحتلال، حيث توجه البطلة نقدها للتاريخ الدموي للمملكة في محاولة للإسقاط على الفترة الحالية بإضافتها كلمة "أيضاً" التي تشهد إراقة للدماء. حيث نجد أن برنشتاين تتحلى بحس الصدق التاريخي. هذا الصدق التام للأحداث التاريخية، حتى يكون بمنأى عن الشك ومعبرة كوثيقة عن الحد موضوع النص الأدبي.^٩

^٧ نياح سبيتان القدس، فتحي: بين مؤامرات الانتداب البريطاني والصهيونية العالمية، الجنادرية للنشر والتوزيع، - ٢٠١٦. ص ٥٦.

^٨ د. الشامي، رشاد: تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠. ص ٢٠٠

^٩ د. الشامي، رشاد، تفكيك الصهيونية، مرجع سابق ص ٢٠٠

المملكة الموحدة التي أيضا في عصرها أريقَت الكثير من دماء الكثيرين في حروب لا حصر لها.

تقدم لنا الرواية اعتراف صريح أثناء إلقاء البطلة اللوم على أبيها وجيله بما ارتكبه من أساليب التتكيل والإساءة لسكان هذا المكان الذين خلفوا وراءهم مجتمعا فاسداً، حيث تتهم أبيها وجيله بقيامهم بطرد السكان الأصليين والاستيلاء على كل شيء كان يعيش عليه السكان الأصليين وتحملهم السبب في إراقة تلك الدماء.

אתה ובני הדור שלך השארתם לנו חברה מושחתת, מדינה שמימיה

הראשונים התעמרה בתושבי המקום. חברה שהתיישבה בבתים של אנשים אחרים

אחרי שגירשה אותם. שהתחממה בשמיכות שלהם, האירה את לילותיה בעששיות

שלהם ואכלה מהשדות שלהם ומהפרדסים שלהם. 11

لقد تركت أنت وأبناء جيلك لنا مجتمعا فاسداً، بلدًا منذ أيامه الأولي يسئ معاملته سكان هذا المكان. مجتمع استوطن في منازل آخرين بعدما طردهم، الذي تدفأ في ألحفتهم، وإضاءة ليلاليه بمصابيحهم وأكل من حقولهم والبساتين الخاصة بهم.

לכל הפחות נדרש מכם. להשאיר לנו את הדירות שלכם, את הבתים שלכם,

את הנכסים שזכיתם בהם במרמה ובגרימת עוול. 12

على الأقل هو مطلوب منك. أن تترك لنا شقتكم، ومنازلكم، وأملاككم التي حصلتكم

عليها بالاحتيال والظلم.

¹⁰ ברנשטיין, אילנה, העיר המזרחית, ידיעות ספרים, ישראל, 2013, עמ' 51.

¹¹ שם, עמ' 25.

¹² שם, עמ' 25.

هنا نجد البطلة تلقي الضوء على الأساليب الوضعية التي ارتكبتها الصهاينة الأوائل -متمثلين في أبيها وجيله - للحصول على الأرض، فلم تتوان الصهيونية في الغش والاحتتيال والسرقعة والتعذيب من أجل السيطرة على الأرض وإقامة استيطاناتها.

די לך בדירות שקיבלת במרמה ובשוחד, די לך בנכסים שגזלת מילידי

הארץ. מה שאתה ובני דורך עשיתם לילידי הארץ הזאת לא תוכלו לעשות לנו. לא

תוכלו לקחת מאיתנו את המגיע לנו, את מה ששייך לנו. ١٣

كفكك الشقق التي حصلت عليها عن طريق الاحتيال والرشوة، كفكك الممتلكات التي سرقتها من أبناء هذه البلاد. إن ما صنعه أنت وأبناء جيلك لأبناء هذه البلاد لن تستطيع فعله معنا. لن تستطيع أن تأخذ منا ما نستحقه، ما يخصنا.

تحاول الصهيونية تبرير استيطانها ووحشيتها تجاه الفلسطينيين السكان الأصليين لهذه الأرض تارة بأنهم جالبي التقدم لهذه المنطقة من العالم وتارة أخرى بأن هذا المكان هو مهدهم وترجع إليه أصولهم وبالتالي فأنهم يحاولوا شرعنة وجودهم في هذه الأرض العربية. من ناحية أخرى تحاول الصهيونية الترويج إلى أن هذا المكان هو ملجأ لليهود العالم مما عانوا منه وذلك من أجل تخدير الوعي الإنساني لدى اليهود لئلا تتحرك إنسانيتهم ضد ما يواجهه السكان الأصليين.

كما تسعى إسرائيل للترويج من خلال أحداث -ما يسمونه- معاداة للسامية كفضاعة لتخويف اليهود من وجود من تواجد من اليهود في الخارج، فتحاول أن تقوم بإغوائه بالهجرة إلى إسرائيل للخلاص، وكذلك إخافة يهود الداخل بهذه الأحداث وكأن العالم كله يدير مؤامرة ضد اليهود فتحاول أن تحشد أكبر قدر كي تحقق ما أشرنا له سابقاً "الأغلبية اليهودية" في هذه المنطقة.

עשינו הכול כדי שיהיה לכם טוב. כדי שתוכלו לגור כאן. כדי שתהיה לכם

מולדת. אדם שאין לו מולדת הוא כמו עץ בלי שורשים, אמר אבא.

القضايا الفكرية لاتجاه الدستوبيا في رواية

انשים آخريم گرو כאן، אמרתי. גזלתם، עשקתם، נישלתם، גירשתם.

שטויות, אמר אבא, את מדברת שטויות. את לא יודעת מה זה אומר לחיות

בלי מולדת. אם אמא שלך היתה בחיים היא היתה מספרת לך. 14

לقد فعلنا كل شيء لكي يطيب لكم الأمر. لكي تستطيعوا العيش هنا. لكي يكون لكم وطن. وقال الأب إن شخص بلا وطن مثل شجرة بلا جذور.

قلت أشخاص آخرين عاشوا هنا. سرقتم، واضطهدتم، ونهبتهم، وطردت.

هراء، قال الأب، أنت تتحدث هراء. أنت لا تعرف معنى العيش بدون وطن. إذا

كانت والدتك على قيد الحياة فستخبرك بذلك.

هنا نجد الأب يحاول أن يبرر للبطل ما قاموا به من أساليب غير سوية، من أجل أن يعيشوا في هذا المكان، في إشارة إلى أن وجودهم في هذا المكان بمثابة الخلاص من أمر لا يعلمه إلا من عانى من العيش خارج هذه الحدود قبل قيام الدولة.

من ناحية أخرى تشير البطل إلى أن الصهاينة -متمثلين في أبيها وجيله - قتلوا سكان المكان الأصليين صراحة إلا أن أحدا لا يبالي بهذا الأمر لأن هذا القتل لشعب آخر وأن هذا لا يطالهم، وهو ما يشير إلى انعدام الإنسانية.

אבא ובני דורו רצחו לא מעט אנשים כדי להקים את המקום הזה. אנשים

ונשים שאינם מבני עמנו, ולכן אין איש נותן את הדעת על מותם. 15

قتل أبي وأبناء جيله عدد لا يستهان به من الأشخاص من أجل إقامة هذا المكان.

رجالاً ونساء ليسوا من أبناء شعبنا، لذلك لا أحد يُعير انتباهه إلى موتهم.

فإذا كانت التيارات السابقة قد اعتادت إدراج صفة الاغتصاب ضمن قاموس

السمات التي يتمتع بها الآخر، رغبة منهم في اكتمال الصورة المشوهة له وعلى الرغم من

¹⁴ شם، עמ' 26.

¹⁵ شם، עמ' 39.

الباحث/ محمد ممدوح محمد

أننا نجد هذه التهمة تأتي من خلال علاقة مباشرة وملموسة بين الجاني والمجني عليها، لدى بعض الأدباء الإسرائيليين ممن تناولوا الآخر،^{١٦} إلا أننا نلاحظ أن برنشتاين تكشف عكس ذلك لتقش الحقيفة صراحة وتسرد ما أعترف به والدها، من تنكيل للرجال واغتصابهم للنساء.

הוא בעצמו סיפר לי איך הם היו נכנסים לכפרים، כולאים את הגברים

בלולי התרגולות ואונסים את הנשים. ١٧

لقد أخبرني (أبي) بنفسه كيف يدخلون القرى ويسجون الرجال في حظائر الدجاج ويقومون باغتصاب النساء.

فما تسرده البطللة هو بالتأكيد جزء مما اعترف به الأب لها، فقد اعترف أبيها لها بما ارتكبه من جرائم من أجل الاستيلاء على ما يملكه السكان الأصليين فقد كانوا يسجون الرجال ويغتصبون النساء.

رغم ما تتحلي به إسرائيل من علامات للتقدم -ظاهريا-، فإن أي غريب لا يتوقع أن يكون هناك من هو يخضع للاحتلال في القرن الحادي والعشرين، بل وعلى بُعد خطوات من هذا الكيان المتشبه بالتقدم -ظاهريا.

وهو ما تعترف به البطللة بأن هناك من يخضع للاحتلال بمآسييه، على غير المتوقع.

אילו יתהלך זר בעיר הגדולה לא יוכל לשער בנפשו שבמרחק

קילומטרים ספורים מכאן חי עם אחר נדכא עוד יותר ומושפל כדבר שבשגרה. ١٨

^{١٦} علام، عمرو عبد العلي، الأنا والآخر، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، يناير ٢٠٠٥، ص

١١٦

^{١٧} ش، عم' 215.

^{١٨} ش، عم' 51.

القضايا الفكرية لاتجاه الدستوبيا في رواية

إذا سار شخص غريب في المدينة الكبرى لن يستطيع أن يتخيل في قرارة نفسه أنه على بُعد كيلو مترات معدودة من هنا، يعيش شعب آخر مقموع بقدر أكبر ومُهان كأمر معتاد.

نجد أن البطلة تكشف لنا عن زيف ما يبدو تقدماً واستقراراً في هذا المكان الذي يسود فيه القمع والذل كما تحمل اعترافاً بالاحتلال الذي تقوم به.

מצד אחד הגב מופנה אל הים، שזה לא כבר גודר והכניסה אליו נאסרה،

מצד שני המבט נישא אל החומות. חומות ההפרדה בין הארץ הגזולה לארץ

הכבושה. בין החיים כאן על חרבם לבין המגורשים. ١٩

من ناحية الظهر موجه صوب البحر، غير المحاط بسور إلا أن الدخول إليه ممنوع، ومن الناحية الأخرى نرى الأسوار. أسوار الفصل بين الوطن المقسم والأرض المحتلة. بين حياة الذين يقاتلون بلا توقف والمطرودين.

تلخص لنا واقع المواجهة بين الإسرائيلي السجين والآخر الي يخضع للاحتلال، كلاهما يعيش واقع أليم.

تتشكل الشخصية من مجموعة من التجارب التي تمر بها في الماضي وكثيراً ما يُحكم على الحاضر من خلال ثقافة الماضي، وفي الحقيقة أن كلاً منهما يؤثر في الآخر ويترك بصماته فيه، ولا يمكن أن يُفهم أحدهما إلا في ضوء الآخر ومعطياته وثقافته، ومن وجهة نظر البطلة أن كلاً من الماضي والمستقبل لا يحمل إلا إرثاً واحداً وهو الوحشية والإهانة والاحتقار الذي يتمتع به الحاضر.

עבר נגוע בזיכרונות מרים ועתיד אין. רק הווה מתמשך של התאכזרות،

ביזוי והשפלה. התאכזרות، ביזוי והשפלה שהיו פעם נחלתו של העם הכבוש ואילו

עכשיו הם נחלת הכול וכולם. ٢٠

^{١٩} שם، עמ' 82.

^{٢٠} שם، עמ' 153.

الماضي ملوث بالذكريات المريرة وعدم وجود مستقبل. أما الحاضر فتواصل فيه الوحشية والإهانة والاحتقار. الوحشية والإهانة والاحتقار التي كانت يوماً ما إرث الشعب المحتل أما الآن فهي إرثاً للجميع.

لقد زرعت الصهيونية روح الاستعلاء في نفوس اتباعها، وهو ما يظهر في الحديث عن الآخر المُحتل بوضوح. حيث نجد ابيها يصف الآخر بالحيوانات.

כל אחת שנולדה כאן וחיה כאן מודעת היטב לנעשה שם، בארץ הכבושה،

גם אם אין בידיעה לנקות את מצפונה.^{٢١}

كل واحدة وُلدت هنا وتعيش هنا تدرك جيداً ما يجري هناك، في الأرض المحتل، حتى لو لم تكن تعرف كيف تريح ضميرها.

لقد أبرزت الأدبية من خلال هذا العمل انهيار الصهيونية على مستوي رؤيتها التي حاولت الترويج لها حيث روجت الصهيونية أنها ستتمكن من إقامة "الدولة اليهودية" بالطرق السلمية والتوافقية مع العرب -عن طريق شراء الأراضي أو إقامة نقاط استيطانية للمستوطنين اليهود، إلا أن حقيقة الأمر إما أن الصهيونية أخطأت في حساباتها^{٢٢} أو أنها أحكمت خداعها لجموع اليهود لحشدهم للهجرة إلى تلك الأرض. فقد روجت الصهيونية لجموع اليهود تحقيق هذا الهدف دون الإضرار إلى مواجهة العرب في تلك الحروب على مر تلك السنين.^{٢٣}

ثانياً: نقد الأنظمة الشمولية

من أهم القضايا الفكرية التي تُميز تيار الدستوبيا هو نقد سيطرة الأنظمة الشمولية الديكتاتورية الاستبدادية. وهي من أهم الأسباب التي ازدهر بسببها هذا التيار في الأدب العالمي، فقد جاءت أكثر الأعمال الأدبية العالمية الدستوبية شهرة نتيجة للحكم الشمولي

^{٢١} شם، עמ' 283.

^{٢٢} אורן، יוסף، חלופי דורות בסיפורת הישראלית، עמ' ١٣.

^{٢٣} שם

القضايا الفكرية لاتجاه الدستوبيا في رواية

الذي شهدته دول عدة في العالم بدءًا من مطلع القرن الماضي وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

يبدو للمتأمل في مبادئ الديمقراطية المتعارف عليها، أن المجتمع الإسرائيلي يفقر لمثل هذه المبادئ، فعلى الرغم من أن المظهر الخارجي لشكل تداول السلطة في إسرائيل يمكن القول أنه نظام ديمقراطي، بشكل لا يستطيع أحد إنكاره إلا أن التطبيق العملي في الواقع العملي والسياسي يبين زيف هذه الديمقراطية.^{٢٤} ولعل من بين أسباب تلك الحالة الفريدة التي قامت عبرها إسرائيل من خلال تهجير اليهود من الخارج واحتلال أراضي السكان الأصليين الأمر الذي لم يجعل لدى إسرائيل الشكل الطبيعي للبناء الهرمي لإسرائيل مثل بقية الدول الديمقراطية. فقد طغي الجانب العسكري على الجانب المدني منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا؛ الأمر الذي حال دون قيام مجتمع متجانس.

تكشف لنا الرواية عن هذه الأنشطة الديكتاتورية التي تصدر قوانين استبدادية كي تُحكم سلطتها على المجتمع.

מדי יום צצה ידיעה חדשה בתקשורת המחתרנית. ידיעה המבשרת על אסון

חדש. על חוק דיקטטורי חדש.^{٢٥}

بشكل يومي يظهر نبأ جديد في وسائل الإعلام السرية. نبأ يُخبر عن كارثة جديدة.

عن قانون مستبد جديد.

من أدوات الأنظمة الاستبدادية اصدار القوانين الاستبدادية التي بموجبها تبقى هذه السلطة في الحكم وكذلك قمع وملاحقة المعارضة، إلا أن الحالة التي تصفها لنا الرواية تتعدى تلك الحدود، حيث نجد أن النظام يجمع أي شخص لا يتبع النمط الذي وضعه المختبر من أجل السيطرة على المواطنين. كما يتعقب الممتنعين عن الإدمان الجنسي وإدمان المخدرات؛ هم في نظره غير وطنيين.

^{٢٤} رشيد، فايز، زيف ديمقراطية إسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤،

ص ٢٣

^{٢٥} برنشتاين، ايلנה، העיר המזרחית، ידיעות ספרים، ישראל، 2013، עמ' 64

انשים אלה לא היססו לפגוע בתושבי המקום, ולא רק בהם. אנשים אלה פגעו וממשיכים לפגוע במהגרי עבודה לשעבר, שגם אחרי עשרים ושלושים שנה מכונים כאן עדיין עובדים זרים, בנאמני ברית אחים, בנשים באשר הן, בבני העם שהגיעו לכאן מהמולדות הישנות, במתנזרים מסמים, מאלכוהול ומפורנוגרפיה, ובעיקר בכל אותם המוגדרים כאן כאנטי-לאומניים. בקיצור בכל מישאינו גבר לבן שהוא גם יליר חדש של המקום המחורבן, המחוקק את החוקים והתקנות לתועלתו.²⁶

هؤلاء الأشخاص لم يترددوا في إلحاق الضرر بسكان هذا المكان، وليس فقط بهم. هؤلاء الأشخاص ألحقوا الضرر ولا يزالون يلحقونه بمهاجري العمل سابقاً، الذين حتى بعد عشرين وثلاثين عام لا يزال يُطلق عليهم هنا لقب العمال الأجانب، بالمخلصين يرباط الأخوة، بالنساء حيثما كانوا، بأبناء هذا الشعب الذين جاءوا من وطنهم القديم إلى هنا، بالمتعنين عن المخدرات والكحوليات والإباحية، وبالأساس بكل من يطلق عليهم هنا معادوا للقومية. باختصار بكل من ليس لأب من المحليين الجدد لهذا المكان الخرب، الذي يسن القوانين واللوائح لصالحه.

تكشف لنا برنشتاين في غير موضع هذه الفكرة التي مفادها أن الظلم يفسد أي شيء وكل شيء فقط من أجل البقاء. بل ويطور في النمط ويستثمر فيه من أجل اخضاع المواطنين ليكونوا غير صالحين، منهكي القوة، بلداء وعديمي الشعور. كسפי המסים משמשים במקום הזה למימון תעשיית הרשע.²⁷ أموال الضرائب التي يتم استخدامها في هذا المكان لتمويل صناعة الشر. نجد أن البطلة تكشف لنا هنا عن أحد أدوات النظم الديكتاتورية وهي جمع الضرائب واستخدامها لأغراض بعيدة عن رفاة أو حتى تحسين حياة المواطنين.

يشير الناقد الإسرائيلي "يوسيف أوران" إلى أن مجموعة أدباء الدستوبيا تتميز عن المجموعات السابقة، ليس في الموضوعات، ولا في أساليب الكتابة، ولا في مصادر التأثير عليهم، ولا في الشعور بخيبة الأمل من فرص تحقيق الرؤية الصهيونية بشكل كامل، بل

²⁶ שם, עמ' 72.

²⁷ שם, עמ' 57.

القضايا الفكرية لاتجاه الدستوبيا في رواية

تتميز في المغالاة في التعبير عن بأسهم الأهوج من الصهيونية ومن فرص تحقيق رؤيتها بالكامل.^{٢٨}

ثالثاً: نفي ديمقراطية الدولة

تحاول إسرائيل دائماً الترويج لفكرة أنها الديمقراطية الوحيدة بالشرق الأوسط وأنها منارة الحرية إلا أن حقيقة الأمر تختلف تماماً عن ذلك فبتطبيق مبادئ وأسس الديمقراطية يثبت لنا عدم صحة ذلك، وهو ما تكشف لنا الرواية، حيث تكشف عن زيف هذه الإدعاءات التي كثيراً ما يشيع بها الحديث السياسي الإسرائيلي.

لا الهال - שבקיומו ממילא איני מכירה - הוריד עלינו את המכות, אלא

נבחרו העם, פקידים-המשטר שנבחרו באורח דמוקרטי. היו אלה הבחירות

הדמוקרטיות כביכול האחרונות במקום הזה והן אירעו לפני שלוש-עשרה שנים.

מקום שבמשך שנים צרח דמוקרטיה בקולי קולות, והעיד על עצמו כעל הדמוקרטיה

היחידה באזור - דמוקרטיה אתנית שאינה אלא שם נרדף לדמוקרטיה גזענית.^{٢٩}

لم يكن الإله -الذي لا أعترف بوجوده- هو من ألحق بنا تلك الضربات، إنهم

ممثلوا الشعب، موظفي النظام الذين تم انتخابهم بطريقة ديمقراطية. هذه الانتخابات

الديمقراطية الأخيرة في هذا المكان والتي أجريت قبل ثلاثة عشر عام. هذا المكان الذي ظل

يصيح خلال سنوات بصوت عالي بالديمقراطية، والذي وصف نفسه بأنه الديمقراطية الوحيدة

بالمنطقة - بأنه ديمقراطية إثنية وهي تسمية مرادفة لديمقراطية عنصرية.

انطلاقاً من الواقع الذي تعيشه إسرائيل، استخدمت برنشتاين بعض الإدعاءات

المنكرة التي تشيع في الإعلام الإسرائيلي وعلى لسان رجال السياسة، لتنتقد ما يتم الترويج

له من أن الديمقراطية الإسرائيلية هي الوحيدة في المنطقة.

رابعاً: تأثر أدباء الدستوبيا بالأدب العالمي

^{٢٨} أورك، يوسف، حلوفي دوروت بسيפורت הישראלית، ישראל: 2018، عم' ١٠

^{٢٩} شمس، عم' ١٨١.

يرجع ظهور تيار الدستوبيا في الأدب العبري المعاصر كنوع من أنواع تأثر الأدب العبري بالأدب العالمي، كما يشير الناقد الإسرائيلي "يوسيف اورن" إلى أن أدباء تيار الدستوبيا تأثروا بالأدب العالمي.

خلال رواية "المدينة الشرقية" نجد هناك تأثر بالفكر العالمي، حيث نجد البطلة تشير إلى اسطورة "حصان طروادة"^{٣٠} الشهيرة وذلك في صدد الحديث عن الثورة النسائية التي أرادوا تنفيذها على غرار "حصان طروادة"، مستغلين الهوس الجنسي الذي يسيطر على يسود المجتمع. ووفقا لخطة الثورة فإن مجموعة من النساء النقيات التي لم يتلوثن سيقمن بالدخول إلى "المدينة الشرقية" لحضور حفل ينظمه رجال المختبر البشري وبعد الدخول سيقمن بتنفيذ ثورتهم.

התוכנית פשוטה מאוד, אמרה אחותי בעודה מרכיבה על המיטה הזוגית - כמו בפאזל - את חלקי הגוף המנוסרים של אהובה, והיא דומה במהותה לסוס הטרוריאני של אודיסיאוס. עשרת אלפים נשים תצאנה בשיירת משאיות לעיר המזרחית. כולן מוזמנות לחגיגות הגדולות של המעבדה, לכולן יש רישיון כניסה וכולן חמושות לפוצץ או להתפוצץ.^{٣١}

الخطة بسيطة للغاية، قالت أختي أثناء قيامها بتجميع أجزاء جثة حبيبها المقطعة -مثل البازل- على السرير الزوجي، وهي تشبه في جوهرها حصان طروادة الخاص بأوديسيوس. عشرة آلاف امرأة ستخرج في قافلة من السيارات إلى المدينة الشرقية. جميعهن مدعوات على الاحتفالات الكبيرة الخاصة بالمختبر، ولجميعهن تصريح دخول وجميعهن مسلحات لضرب أهداف أو لتفجير أنفسهن.

^{٣٠} يعتبر "حصان طروادة" رمز للحيلة والمكر. طروادة هي إحدى مدن الأناضول التي حاصرها الإغريق عشر سنوات - كما جاء في ملحمة الإلياذة للشاعر هوميروس - دون أن يستطيعوا اقتحامها، فصنعوا حصانا خشبيا هائل الحجم، وتركوه عند أسوار المدينة على أنه هدية لأهل المدينة، وأعلنوا انسحابهم وكانت المفاجأة حين أدخل أهل طروادة الحصان إلى مدينتهم، فقد خرج من داخله جنود إغريقيون استطاعوا ففتح أبواب المدينة لباقي الجيش الإغريقي، وبهذه الخدعة انتصر الإغريق. نقلا عن "تأويل الأسطورة في كتابات أفلاطون" لـ "مها عيسى فتاح العبدالله" ص ٥١١ برنشتاين، ايلנה، העיר המזרחית، שם، עמ' ٣١٤.

القضايا الفكرية لاتجاه الدستوبيا في رواية

نجد هنا التأثير واضح بأسطورة "حصان طروادة" بشكل خاص وبالآدب العالمي بشكل عام. فقد تأثر أدباء "الدستوبيا"، مثلهم مثل الموجات السابقة، باستحداثات الأدباء العبريين، أو بالآدب العالمي.^{٣٢}

الخاتمة

ارتبطت القضايا التي يتناولها تيار الدستوبيا بالواقع على الرغم من أنه لون من أدب الخيال، وهو الأمر الذي يجعل له شعبية كبيرة ورواجاً بين القراء. كما يكشف هذا التيار عن الآثام التي ارتكبتها إسرائيل كدولة احتلال وكذلك زيف الديمقراطية الكاذبة التي تتفاخر بها. من ناحية أخرى يأتي ظهور هذا التيار كنتيجة للواقع الأليم الذي تعيشه إسرائيل منطلقاً عبر الخيال إلى المستقبل يتخذ صورة سوداوية.

قائمة المراجع

- الازعر، محمد خالد: النموذج الصهيوني لإدارة الصراع السكاني، مجلة شئون فلسطين، العدد ١٩٦ يوليو ١٩٨٩.
- د. الشامي، رشاد: تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠.
- جارودي، روجيه، ملف إسرائيل: دراسة للصهيونية السياسية، ترجمة: مصطفى كامل فودة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣ .
- ذياب سبيتان القدس، فتحي: بين مؤامرات الانتداب البريطاني والصهيونية العالمية، الجنادرية للنشر والتوزيع، - ٢٠١٦ .

^{٣٢} أورك، يوسف، حلوفي دوروت بسيפורت הישראלית، שם , עמ' ٩

- رعد، إنعام، "الصهيونية الشرق أوسطية من هرتزل إلى بيريز إلى النفق و الخطة المعاكسة"، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، ١٩٩٨.
- رشيد، فايز، زيف ديمقراطية إسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
- לבנה، חננאל، מדע בדיוני כביקורת פוליטית-כלכלית: דיסטופיות ישראליות، 2017.
- אורן، יוסף، חלופי דורות בסיפורת הישראלית، ישראל: ٢٠١٨.
- ברנשטיין، אילנה، העיר המזרחית، ידיעות ספרים، ישראל، ٢٠١٣.